الجرجاني، مجلة علمية محكمة متخصصة في تأصيل البلاغة والنقد الأدبي
العدد الأول، السنة الأولى، صيف ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م؛ صص ٤٧-٥٩
تاريخ الوصول: ٢٠١٨/٢/٥؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٦/٢٦

ظاهرة اقتطاع التاء* من بنية الفعل المضارع ودورها في عملية فهم النص "باب تفعُّل وتفاعل نموذجا"

جلال مرامي[١]*؛ سيد حسين حسيني[٢]؛ قاسم عزيزي مراد[٣]

الملخّص

الحذف من الكلام عند إمكان ذكره أو حذفه تلبية لحاجات وأغراض أحس بها الأديب ويقصد من ورائها تقوية المعنى وكماله ووصوله إلى المتلقّي المتذوّق في صورة مؤثرة ومقنعة، فاقتطاع التاء من أوّل الفعل المضارع ليس عبثاً، لكن الأديب إذا ذكره يعدّ عبثاً بمقتضى البلاغة إذا كان حذفه يحقق أغراضا بلاغية تكسب الكلام قوة وجمالا. فهذا الفن الأدبي سواء كان الشاعر واعيا أو غير واعٍ، فهو يعد من مميزات اللغة العربية حيث يساعد الشاعر أو الأديب في إنتاجهما الأدبي والفني. كما أنّه يتحسن معالجة هذا الفن من ناحية البناء والشكل ومن ناحية الدلالة والبلاغة. فالمقال هذا يتناول الأمر لكشف الأسرار والمعاني التي تكمن وراء الحذف والاقتطاع وللوصول إلى هذه الغاية اقتطفنا مقتطفاتٍ من النصوص الأدبية واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي-التحليلي لتحقيق أغراض الحذف. وقد تم اختيار هذا المنهج لكونه استقصاء لعملية الحذف ومن ثمّ تسليط الضوء على الغرض الذي وراء الحذف. ولقد حاول هذا البحث أن يزيح الستار عن دور الاقتطاع في عملية الفهم باعتباره آلية من الآليات اللغوية لاصطياد المعاني التي لايمكن اصطيادها باللغة الاعتيادية. ولقد عثرنا في نهاية المقال على أن حذف التاء من بنية الفعل المضارع له دور هام في عملية فهم النص وذلك يبين غاية النظم الذي ذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني؛ فالحذف من هذا النوع ليس لمجرد الحذف، بل إنه تصوير فنّي لبيان مقدار حدث الفعل.

الكلمات المفتاحية: النظم العربي، الحذف، اقتطاع التاء، التفعل والتفاعل.

---

* لم يورد هذا المصطلح في الكتب النحوية ويكون مجرد إبداع من قبل المؤلفين

١. أستاذ مشارك بجامعة العلامة الطباطبائي، قسم اللغة العربية وآدابها jalalmarami@yahoo.com

٢. طالب الدكتوراه بجامعة تربيت مدرس، قسم اللغة العربية وآدابها

٣. طالب الدكتوراه بجامعة العلامة الطباطبائي، قسم اللغة العربية وآدابها ghasemazizi_1388@yahoo.com

المقدّمة

نظم الكلام عند البلاغيين هو تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من المعاني الموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل والسياق. والحذف يعَدّ فنا من فنون نظم الكلام وكل أديب يستخدمه في نتاجه الأدبي فلاشك أنه يقصد من ورائه أغراضا مكنونة وسرائر مختفية في النفوس، أغراضاً قد تعجز لغة المعيار عن التعبير عنها. فالدراسة هذه تتناول النظم العربي من ناحية حذف التاء من بنية الفعل المضارع لتكشف عن دوره في عملية فهم النص الأدبي وتقييم النص العربي وتقديمه للدارسين وطرح العديد من الأبيات والشواهد التي عَمّقَتِ المنظور الفكري والفنّي للأدب ولاسيما على مستوى التطبيق ويتمّ التركيز على الشواهد من آي الذكر الحكيم والشعر العربي لأنّها تمثّل القاعدة الحقيقية التي قامت عليها البلاغة العربية. فأما الذين أشاروا إلى هذا الموضوع –وإن لم يشار إليه في الكتب البلاغية والنحوية في باب يختص به– يرون أنَّ هذا الاقتطاع إنما يحدث تخفيفاً. إلا أننا إذا ما قمنا بدراسة شاملة في هذا المضمار وتأملنا في الكتب البلاغية واللغوية التي دوّنت، نرى أنّ الاقتطاع قد يلعب دوراً مهمّاً في عملية فهم النصوص الأدبية. وعلى هذا الأساس فالإشكالية الرئيسية لموضوع البحث هي أنه:

كيف تساهم ظاهرة الحذف ولاسيما اقتطاع التاء في عملية فهم النص؟

وهل يمكن أن تعتبر هذه الظاهرة (اقتطاع التاء) آلية لغوية تستخدمها الناصّ لانتقال المعني؟

وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن أن نأتي بافتراضين:

أ) الحذف عامة واقتطاع التاء خاصة هو من قدرات لغوية يستخدمها الأديب في نتاجه الفني لكي يعبر عن تصوير فني حول حدث الفعل.

ب) الاقتطاع عملية لغوية يستخدمها الأديب لاصطياد المعاني التي لاتقدر لغة المعيار على التعبير عنها.

بيان المسألة

كل فعل مضارع إذا ابتدأ بتاءين، تاء الفعل وتاء المضارعة، فقيل مثلاً "تَعَلَّمَ يتعلّم، يا زيد تَتَعَلَّمُ" فيحدث اجتماع التائين ثِقَلاً في اللسان. كذلك ﴿**فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى**﴾ (عبس/٦)، أصله تَتَصَدَّى فحذفت إحدى التاءين قصدا إلى التخفيف. فجوّز أهل العربية حذف إحدى التائين واختلفوا في المحذوف و«ذهب الكوفيون إلى أنه إذا اجتمع في أول الفعل المضارع تاءان تاء المضارعة وتاء أصلية نحو "تتناول وتتلون" فإن المحذوف منهما تاء المضارعة دون الأصلية نحو "تناول وتلون". وذهب البصريون إلى أن المحذوف منهما التاء الأصلية دون تاء المضارعة. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا ذلك لأنه لما اجتمع في أول هذا الفعل حرفان

متحركان من جنس واحد وهما التاء المزيدة للمضارعة والتاء الأصلية استثقلوا اجتماعهما فوجب أن تحذف إحداهما فلا يخلو إما أن تحذف الزائدة أو الأصلية فكان حذف الزائدة أولى من الأصلية لأن الزائد أضعف من الأصلي والأصلي أقوى من الزائد فلما وجب حذف أحدهما كان حذف الأضعف أولى من حذف الأقوى» (النحوي، لا تا: ٦٤٨). «وأما البصريون فقالوا إنما قلنا إن حذف الأصلية أولى من الزائدة لأن الزائدة دخلت لمعنى وهو المضارعة والأصلية ما دخلت لمعنى فلما وجب حذف إحداهما كان حذف ما لم يدخل لمعنى أولى. وأما الجواب عن كلمات الكوفيين أما قولهم إن الزائد أضعف من الأصلي فكان حذفه أولى، قلنا لا نسلم هذا مطلقا فإن الزائد على ضربين زائد جاء لمعنى وزائد لم يجئ لمعنى، فأما الزائد الذي جاء لمعنى فلا نسلم فيه أن الأصلي أقوى منه وأما الزائد الذي ما جاء لمعنى فمسلم أنه أقوى ولكن لا نسلم أنه قد وجد هاهنا وهذا لأن التاء هاهنا جاءت لمعنى المضارعة فقد جاءت لمعنى وإذا كانت قد جاءت لمعنى فيجب أن تكون تبقيتها أولى لأن في حذفها إسقاطا لذلك المعنى الذي جاءت من أجله وذلك خلاف الحكمة» (نفس المصدر: ٦٤٨-٦٤٩). وتبييناً لهذه القضية نقوم بدراسة حذف التاء في أول الفعل المضارع، ويتم ذلك إذا التقت التاء الأولى بتاء أخرى في أوله. وهذا يوجد في ثلاث صيغ هي: (تَفَعَّلَ، وتَفَاعَلَ، وتَفَعْلَلَ). ويعلل الحذف هنا بأنه يحدث لتوالي الأمثال (طاهر حمودة، ١٩٩٧: ١٩١)، وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة تدل على الحذف في هذه الصيغ كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى**﴾ (عبس/٦)، ﴿**فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ (عبس/١٠)، ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾ (القدر/٤)، ﴿**وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ (الفجر/١٨).

فقد تم حذف التاء الأولى في الأفعال (تصدّى، وتلهّى، وتنزّل، وتحاضّون). وأصل البناء في هذه الأفعال على الصورة التالية: (تتصدّى، وتتلهّى، وتتنزّل، وتتحاضّون). فيشير الدكتور عبدالتواب إلى هذالموضوع حيث يقول: "فالكثير في العربية الاكتفاء بتاء واحدة، وفي القرآن أمثلة كثيرة لذلك، ففيه مثلاً (تَذَكّرون) سبع عشرة مرة بالحذف، في مقابل تتذكرون ثلاث مرات بلا حذف. (طاهر حمودة، ١٩٩٧: ٤٥) وقد أشار برجشتراسر عند حديثه عن ظاهرة الترخيم إلى أن "من الترخيم ما هو جنس من التخالف، وهو حذف أحد مقطعين متتاليين أولهما حرفان مثلان أو شبهان، نحو تذكرون بدلاً من تتذكرون، وأمثال ذلك في القرآن عديدة" (برجشتراسر، ١٩٩٤: ٧٠). فالمقطع المحذوف في هذه الكلمة مقطع مورفيمي تصريفي يتمثل في التاء المفتوحة سواء كانت تاء المضارعة أم تاء المطاوعة في الماضي. وقد أشار ابن جني لهذه الظاهرة بقوله: "يكره اجتماع المثلين زائدين فيحذف الثاني منهما طلبا للخفة بذلك" (ابن جني، لا تا: ١١١).

حذف التاء عند النحويين

قبل الولوج إلى دراسة حذف التاء ودوره في النتاج الأدبي، فلابدّ من نظرة إجمالية إلى آراء علماء الصرف.

إن التاءين في الأفعال (تصدّى، وتلهّى، وتنزّل، وتحاضّون) -كما سبق- زائدتان، والحذف فيهما جائز لا واجب. حيث يقول سيبويه: «أنت بالخيار إن شئت أثبتهما وإن شئت حذفت إحداهما.» (سيبويه، ٢٠١٤: ٤٧٦) وهذا ما جاء ممثلاً بدقة في التوظيف القرآني لهذه الصيغ من الأفعال، إذ وظفها القرآن كاملة في مواضع، ومحذوفة التاء في مواضع أخرى. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**﴾ (النساء/٢) بإثبات التاءين في الفعل (تتبدّلوا). وتوظيف الفعل ذاته بحذف إحدى التاءين في قوله تعالى: ﴿**لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَاأَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾ (الأحزاب/٥٢). فالآية الأولى ورد فيها الفعل (تتبدلوا) على صورته الكاملة بلا حذف في إطار خطاب المولى عزّ وجل للمؤمنين بأن يعطوا اليتامى أموالهم كاملة بلا نقصان، فناسب الأمر شكل الأداء، فجاء الفعل على الصورة الكاملة دلالة على الاتساق مع الأمر المندوب هنا.

وفي الآية الثانية ورد الفعل (تبدّلوا) على صورته المحذوفة، وهي تخاطب النبي ﷺ بشأن زواجه من النساء، وكيف أن الله يمعنه ﷺ من الاستزادة من النساء. فجاء الفعل ناقصا هنا مناسبا لهذا الأمر من حيث عدم الاستزادة في الزواج. فاقتطع من الفعل أيضاً مناسبة لهذا السياق.

وهكذا ارتبط الحذف أو عدمه بالدلالة السياقية للآية كلها في ضوء ما تم من حذف في سياق الكلمة. ومن ذلك أيضاً ورود الفعل (تنزّل) محذوف التاء في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ (الشعراء/٢٢١-٢٢٢). ووروده بصورته الكاملة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (فصّلت/٣٠).

والسياق في آيتي سورة الشعراء يدل على أن التنزّل فيها أقل، ذلك لأن الشياطين لا تتنزّل بكثرة على كل الكفرة، وإنما تتنزّل على طائفة دون أخرى، أو على الكهنة كما في سياق الآية، وهم الموصوفون بالإفك والإثم. ولا شك أن هؤلاء ليسوا كثرة في الناس، وهم قلة، فاقتطع من الحدث ما يناسب أهله وفاعله.

أما السياق في آية سورة فصلت فهو يدل على استبشار من حضره الموت من أهل الإيمان برؤية الملائكة حين الاحتضار لتبشرهم بالجنة. فالتنزّل هنا أكثر، ذلك لأنه في كل لحظة يموت مؤمن مستقيم، فتتنزل الملائكة لتبشره بالجنة. فأعطى الفعل كل صيغته ولم يحذف منه شيئاً مناسبة لهذا السياق. (انظر: السامرائي، ٢٠٠٦: ١٠).

أما المختلف في هذه المقالة فهو أن هذه الظاهرة (حذف التاء) تنطلق من عيون الشعر العربي لكنّ اللغويين السلف يعتقدون أنها استعملت ابتداءً في القرآن كما أنهم لم يشيروا إلى هذه الظاهرة كآلية لغوية لتميز النص العربي بل اقتصروا على أنها مجرد حذف للتخفيف.

الاقتطاع وما يلعبه في عملية فهم النص

الاقتطاع يعد مثالا واضحا «للتغيير الصيتي التصريفي وربما كانت الصيتة قرينة نحوية بحيث إذا استبدلنا صيتة أخرى بتلك الصيتة تغير المعنى النحوي» (يونس علي، ٢٠٠٧: ١٥٩). وهذا هو الذي يعبر عنها البلاغيون القدماء بقولتهم المشهورة بأن لكل كلمة مع صاحبتها مقام (المصدر نفسه).

ومهما يكن من الأمر فإننا لسنا في هذا المقام بحاجة ملحة إلى التوسع في التدليل على وجود معنى هامشي للكلمة أو القولة علاوة على معناها المركزي. وعموما فإن الوصول إلى استنتاج سليم عند الخوض إلى دلالة الاقتطاع يستلزم حصول عملية التفاهم كي تتسنى الإجابة عن السؤال الذي يطرح دائما، وهو لماذا اقتطفت التاء؟ ويبدو أن من أهم هذه العوامل هو عامل الإيحاء الكفيل بإحداث التأثير على المتلقي المتذوق. نرى هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي وفي المعلقات السبع خمس مرّات كما في معلقة طرفة بن العبد حيث يقول:

خـــذول تراعـــي ربربـــاً بخميلـــةٍ تَنـــاولُ أطـــراف البريـــر وترتَـــدي

(الزوزني، ١٣٨٥: ٦٨)

ولاشك أن الظبي كلما تقتات أطراف الأراك وتقطفها تجعلها متعرية، فالشاعر قام بحذف "التاء" من أطراف الفعل لاستحسان التصوير ودلالته على المعنى.

وكذلك يقول الشاعر:

إذا نحـــن قلنـــا أسمعينـــا انـــبرت لنـــا علـــى رســـلها مطروقـــةً لم تشـــدّدِ

(المصدر نفسه: ٨٤)

يقول الزوزني شارح المعلقات: «يقول: إذا سألناها الغناء عرضت تغنينا متّئدة في غنائها على ضعف نغمتها لا تشدد فيها، أراد لم تتشدد فحذف إحدى التاءين استثقالاً لهما في صدر الكلمة» (المصدر نفسه). والحقيقة أن الشاعر يتكلم عن ضعف محبوبته وكأنها أصيب طرفها لفتور نظرها وأراد الشاعر ايجاد نوع من المشاكلة والتنسيق بين اللفظ والمعنى ويطبقها على حالة حبيبته، فيسقط التاء من فعل "لم تتشدد" للدلالة على حال المحبوبة وضعفها وفتور نظرتها. نرى هذه الظاهرة جاءت ثلاث مرات في معلقة طرفة بن العبد فهذا يدل على حذق الشاعر وتمكنه اللغوي وتطلعه على الرموز البلاغية في دلالتها على المعاني.

كما نرى في البيت السادس والخمسين ينزاح الشاعر عن القاعدة الأصلية وهي اقتطاع التاء من أول الفعل ويعمل نوعاً آخر من الانزياح ويسقط الحرف من وسط الفعل في "استطاع" حيث يقول:

فـــإن كنـــت لا تســـطيع دفـــع منيـــتي فـــدعني أبادرهـــا بمـــا ملكـــت يـــدي

(المصدر نفسه: ٨٦)

فالشاعر يريد تلقين عدم قدرة لائميه وعذاله على دفع المنية واطمئنانهم عليها، فيستخدم الفعل ناقصاً حروفَه مبيناً عدم قدرتهم على هذا الفعل، كما يدلّ عليها استخدام حرف "إن" الشرطية أيضاً.

ويستخدم زهير بن ابي سلمى ايضاً هذا الفن في التنسيق بين اللفظ والمعنى كما يقول في البيت الأول من معلقته:

أمِـــــن أم أوفى دمنـــــة لم تَكلّـــــمِ بحومانـــــة الـــــدراج فـــــالمتثلّمِ

(المصدر نفسه: ١٠٤)

فإن زهيراً يتكلم عن الآثار الدارسة والخالية من العمران والضوضاء السابقة لها، فالآثار قد امّحت والشاعر «أخرج الكلام في معرض الشك ليدلّ بذلك على أنه لبُعد عهده بالدمنة وفرط تغييرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق» (المصدر نفسه). فيصور اندراس هذه الآثار وقِدم عهدها بإسقاط حرف التاء لتدلّ على امّحائها وعدم قدرتها بالاستجابة ويمكننا أيضاً أن نقول أنّ حذف حرف التاء يدلّ على خلوّ الدار من الحبيبة فيصوّرها أحسن تصوير.

وكذلك لبيد بن ربيعة يقول في معلقته:

عَلِهَـــت تَـــرَدَّدُ في نِهَـــاءِ صُـــعائِدٍ ســـبعاً تؤامـــاً كـــامِلاً أيامُهـــا

(المصدر نفسه: ١٥٢)

إن الشاعر يتحدث عن حال البقرة التي فقدت ولدها وترددت في طلبها سبع ليالٍ بأيامها، فإن كلمة "تردد" بتكرار حروفه مقطعةً تدلّ على التقطيع في صوت البقرة وترجيعها فتكرار حرف الدال تدلّ على الترجيع في الصوت وإسقاط التاء يصور القطع في الصوت، كما أن هذه الإسقاط في حروف الكلمة تتناسق مع ضياع شيء وهو ضياع ولد البقرة في مكان كذا.

ولكي تتضح هذه أكثر وضوحا فلنمعن النظر فيما يقوله الشاعر أبوتمام فينشد:

فـــتحٌ تَفَـــتَّحُ أبـــوابُ الســـماء لـــه وتـــبرُزُ الأرضُ في أثوابهـــا القُشُـــبِ

(التبريزي، ١٩٩٤: ٣٥)

فالشاعر قد حذف "التاء" من "تفتّح" وأصله هو تَتَفَتَّحُ ولم يأت بالفعل على أساس العرف الاستعمالي في الأدب بعامةٍ ودلالة ذلك خفية لا تدرك إلّا بالتأمّل وطول النظر وهذا التصرف الذي أحدثه الشاعر في النظم، يحمل المتلقي المتذوق على التفكير ليقف على دلالات التراكيب ويعيش في ظلالها فيرتبط بالأديب ويستبطن المعنى ويتأثر به فهذا الأديب قد حذف التاء وبلاغته أنَّ الشاعر مُقِرٌّ ومعترف بأنَّ هذا الفتح من الله كأنّه قد أنزله الله من السماء وتلتهج له السماء والأرض فحذفها ليس عبثاً إذ هناك مرجح للحذف على

الذكر وهذا المرجح هو أنَّ الأديب أبوتمام يريد وصف معركة عمورية وهي فتح الفتوح ولا يستطيع الشعر والنثر وصفها، إنّ هذا الفتحَ سبّبَ الخيرات من السماوات والأرض وألبسها لباساً جديداً فبما أنّ في عملية النزول من السماء شيئاً ينزل إلى الأرض فالشاعر لكي يؤدّي هذا الغرض قد يرى ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة.

ومثله قول الشاعر بشار بن برد فيمدح ابن هبيرة ويصف الجيش فينشد:

كـــأنَّ مُثـــار النقـــع فـــوق رؤوســـنا وأســـيافنا ليـــلٌ تهـــاوى كواكبـــه

(البستاني، ١٣٨٦: ١٢)

فإنّ الشاعر هنا قد حذف التاء من فعل "تهاوى" وأصله "تتهاوى" وبالتأمل نرى أنّه لا خلاف بين ما قصد أبو تمام من الحذف وما قصده بشار بن برد، فهو يقصد أن يصف ساحة المعركة بأنّ هناك ليلاً مظلماً تتساقط النجوم فيه وهناك تراباً ولمعان السيوف وكان التراب المتصاعد في الحرب فوق رؤوس الجيش ولمعان السيوف في هذه الظلمة يشبهان الليل ونجومه المتساقطة وفي هذا الحذف دليلٌ على سقوط تلك النجوم سقوطا خاطفا سريعا وسط جنح الليل وظلامه. بعبارة أخرى قد استغلّ الشاعر حذف التاء من المشبه به لإبراز سرعة وقوع المشبه وهو حركة الأسياف كما أنه استخدمه للاستمتاع والتلذذ بالحديث عن كثرة لمعان السيوف في تلك المعركة المظلمة ولايمكن القول بأنّ الشاعر حذف التاء لأجل الضرورة الشعرية لأنّه كان يسعه أن يأتي بدل هذه الصيغة صيغة أخرى، ألا وهي " تهاوت " دون أي خلل في الوزن الشعري.

ويمكننا التأمّل فيما جاء من حذف تاء المضارع في القرآن الكريم على هذا الأساس حيث تأتي الآية بكامل الإعجاز ولا يكون هذا الّا بلغة مُرَوَّضة وكما قال (هانز ميرهوف): «إنّ بناء أثر فنّي لهو بمثابة إعادة بناء لعالم الخبرة والذات» (ميرهوف، ١٩٧٢: ٥٥). وبما أنّ بنية التأليف نموذج لبنية العالم فالله تبارك وتعالى لما أمر الملائكة والروح في ليلة القدر بالنزول إلى الأرض والمشاركة مع الناس في التعبد فقد حذف التاء من «تتنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلّ أمر» إذاً فالحذف هنا يؤدّي معنى لا يؤديه الذكر فالحذف يدل على أنّ هذا الأمر سماوي من جانب الله تبارك وتعالى ولما كان في عملية النزول سقوط شيءٍ من الأعلى إلى الأسفل فقد حذفت التاء من فعل «تنزّلُ» ليؤدّي هذه الوظيفة التواصلية التي تبين المقصود. وتجدر الإشارة هنا إلى قضية مهمّة وهي أنّ السياق الداخلي في سورة القدر يدور حول عملية النزول من السماء بشكل واضحٍ وعلى أية حالٍ نقول إن الحذف يخلق المعاني الهامشية داخل البنية المفهومية للنص، وذلك عن طريق توسيع استخدام اللغة وتطوير المعجم وتحويل اللفظ إلى لفظ آخر لغرضٍ. وإلى جانب هذا يحقق حذف التاء هنا غرضا آخر وهو أن توارد التاءين يوحي بسرعة نزول الملائكة واحدا تلو الأخرى وذلك يحس به القارئ عند أداء اللفظة

بالتوارد فكأنه ازدادت سرعة وقوع الحدث ولكن أسقاط إحدى التاءين يفيد معنى التدريج في الصعود والنزول لكثرة الملائكة ومزاحمتهم على الأرض ومما يجلب الانتباه في هذه السورة المباركة هو الانحراف الصوتي أي «ميل الحرف من مخرجه على طرف اللسان حتى يتصل بمخرج غيره» (سيبويه، ٢٠١٤: ٢٧). وهي صفة الصوتين اللام والراء (عبدالفتاح، ١٣٩٦: ١١٣) ويدل هذا الانحراف الصوتي على معان هامشية في الآية كما يفيد الانحراف في الصوت، وقوع الانحراف في جهة حركة الملائكة فهم ينزلون من أمكنتهم في السماء إلى مكان آخر وهو الأرض لمشاركة الناس في العبادة ويسبب هذا الصعود والنزول تغير الحالة المكانية التي ترسم بشكل الانزياح الصوتي من الراء إلى اللام أو العكس وهذا النزول المستفاد من الانحراف الصوتي هو الذي يحققه حذف التاء كذلك.

وسوف نقتصر فيما يلي، على ذكر أهم المعايير التي تفيدنا في الممارسة على تحديد فهم عملية النص فهما متصلا بالمساق كما تفيدنا في فهم الوحدة الأساسية في لغة المعيار ومن ثم نخوض في التحليل للبيت الذي أنشده بشار بن برد في القصيدة السالف ذكرها:

رُوَيـــدَ تصـــاهَل بـــالعراق جيادنـــا كأنّـــك بالضـــحاك قـــد قـــام نادبُـــه

(البستاني، ١٣٨٦: ١٢)

فالشاعر في هذا البيت قد انزاح عن لغة المعيار إلى حذف إحدى التائين من "تتصاهل" وجاء بـ"تصاهل" وسرّ ذلك يكمن في بلاغة البيت ووجود أسباب تستدعي الحذف؛ فنحيل ذلك إلى أنّ الشاعر نحى منحى دلالياً، «وبدأت عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية» (الطرابلسي، ١٩٩٦: ٧٣). فإنّ التفاعل بين الدلالة الصوتية والحذف أمرٌ هام يجلب الانتباه إليه؛ فالذي جعل الحذف لدى الشاعر أبلغ من الذكر هو أنّه يريد أن يقول لنا: إن الخيول قد اقتربت من العراق اقتراباً فعما قليل يقع الاستيلاء على العراق ولم يكد أن يموت الضحّاك فكأنَّ هذا الأمر حاصلٌ ولا محالة واقع، فالحذف يمثل مرحلة زمنية في الاستيلاء على العراق وكأنَّ الزمن أقلّ بكثير ممّا يعطي الشاعر الفعل كل صيغته فقام بحذف التاء ليعلن هذا النبأ السعيد إعلاناً سريعاً؛ وكذلك يوحي الحذف بأن هذا الفتح والاستيلاء لايستغرق زمنا طويلا وإنما يأتي قريباً وهذا يدلّ على تمثيل المرحلة الزمنية في الاستيلاء.

فإن تحديد تمام الفائدة في النص والإنتاج الأدبي للأديب ينبغي الإلمام والتضلع على ما يعرف بالبنية الداخلية والبنية الخارجية للنص على مستوى الكلام فإن المتأمل في البيت السابق يستنبط تمام الفائدة من دلالة المفردات على مستوى السياق وكذلك من الدلالة الهامشية التي تنبع من حذف التاء.

كذلك يمكننا أن نمعن النظر فيما يقوله الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري:

مهَــجٌ تهــارَشُ في الخســيس وإن غَــدَت كالنابحـــاتِ فكـــلُّ طعـــمٍ خزيَـــقُ

(البغدادي، ١٢٩٩: ٢٠٦/٢)

فالشاعر أبوالعلاء قد حذف التاء من بنية المضارع وأصله «تتهارش» فهو أراد أن يصف لنا الحياة الدنيا بأنّها لا تستحقّ الركون إليها ولو قليلاً، حيث حذف التاء وجاء بهذا الحذف دليلاً على أنّ ما يتهارش الناس عليها حقير كل الحقارة إلى حدّ لا يمكن أن نتفوّه به ولو عبّر عن هذا المعنى بالذكر لطال الكلام ولخالف ما يريده الشاعر من أنّ الدنيا سريعة الزوال وما يطلبه الناس فيها حقيرٌ وسوف يصبح أثراً بعد عينٍ، كأنّه لم يكن من قبل وذلك دليلٌ على قوّة اللغة وحيويتها إذ عندما يكون الشيء حقيراً فالأديب لإبراز حقارة ذلك الشيء، يأتي بالكلمة ناقصة ولا يستخدمها كاملة فتصبح العبارة كبرقية قصيرة تحرك الهمم وتهزّ المشاعر و«من ثمّ فإنّ غاية الشكل سابقةٌ له ومضمرة فيه ومستشفّة بعده» (عباس أمير، ٢٠١٣: ٥٢).

ولعل مما ينبغي ذكره بشأن الحديث عن العلاقة بين المعنى والشكل التصريفي هو خصوصية التركيب في النتاج الأدبي ومناسبة الكلمات للمقام وهو جمال باعتباره موضوعا حسيا لا علاقة له بتفاوت الذوق الذاتي عند المتلقين بل معيار فني واضح في بيان جوانب الجمال للنص الأدبي وهذا أمر نراه لاينحصر على إطار المفردة ذاتها أو اللغة نفسها بل هو نظرة علمية متوزعة بين الذاتية والموضوعية والمعيارية وهذه الظاهرة أي الاقتطاع وسيلة تعبيرية بين الشكل والمعنى وأداة انسجام بين المعاني الموضوعية والمواقف التي يختلف بعضها عن البعض ولا يسد غيرها مسدها ومن هذا المنطلق نجد الجمالية ذا معايير هامة بدلا من أن نعتمد على الذوق وحده ولكي نصل إلى هذا الهدف نحن بأمس الحاجة إلى مفاتيح هذا الفن وهذا لا يمكن الإلمام به إلا مع موقف الحركة الذهنية في دلالة طبيعة النص والنتاج الأدبي فلننظر إلى قول المتنبي:

ألا يـــا ليـــت شِـــعرَ يـــدي! أتُمســـي تَصَـــرَّفُ في عنـــــانٍ أو زمـــــامِ

(البستاني، ١٣٨٦: ٢٦٤)

فوراء حذف التاء في «تصرّف» دواعٍ ثلاثة تتبين للمتلقي بعد التأمل وإمعان النظر في السياق الداخلي للقصيدة؛ فالشاعر في هذه القصيدة يصف سقمه وحمّاه كأنّ جسمه يضيق ضيقاً لا يطاق ثم يواصل وصفه مخاطباً الحمّى: لقد ازدحمت صروف الدهر وحوادثه عليّ فكيف وصلت إليّ من بين ازدحام هذه المصائب؟! فالسياق الداخلي هو الضيق في الجسد والروح فهذا الحذف يتلاءم وما أراده الشاعر من أنّ الحمى قد أضرّ بجسمه فهو لا يستطيع إتمام الكلمة وقد يشير إلى العرق المصبوب الذي يعقب الحمى ففي حالة الحمّى قد يسقط شيءٌ من جوهره وأصله، فالأديب قد أسقط التاء من الأصل لملاءمة اللفظ والمعنى وقد يدلّ هذا الحذف على قلّة رجاء الشاعر وأمله في الشفاء وتحسن حاله.

فالوقوف على هذه الفكرة يظهر بجلاء عندما نمعن النظر في دلالة المعنى وما يدل عليها إتيان هذه الكلمة من الدلالات المصاحبة لها، وتكاد هذه الظاهرة تبرز لنا كيفية العلاقة للنظم الموسيقي الكلي والاعتماد على تجلياته مما يستعصي على اللغة التفوه بها. ومما يسترعي الانتباه هو أننا لسنا نبتعد عن خطانا قيد شعرة إلا من منطلق جمالية الكلمات في النتاج الأدبي والمعرفة الفنية بشكل خاص، هذا من الطبيعي في النظم الفني من ناحية المضمون حيث إن «جهد الأدب أن يلحق المصورة، ويحل بالكلمة والعبارة محل الصورة» (عتر، ١٩٩٦: ١٦٣). فالأديب بهذه الظاهرة يصور لنا تصويرا رائعا لا تبلغه اللغة المتعارف عليها حيث نجد الأديب يجعل الكلمة في صورة عرضية على قدر اللوحة و... فلنمعن النظر في النتاج الأدبي لتلاؤم التلهف والشعور بالتصوير الذي يصوره الأديب:

وتواضَـــعُ الأمـــراءُ حـــول ســـريره وتُـــري المحبّـــةَ وهـــيَ مِـــن آمالِـــهِ

(المتنبي، ١٩٨٣: ٢٨٥)

فالموضوع في هذا البيت هو أنّ الملوك يقبّلون الأرض ويسجدون على التراب حول فراشه ويظهرون له المحبّة؛ فالدلالة المركزية فيه هي تواضع الأمراء له لرفعة شأنه وهمته فكأنّهم مطأطأة رؤوسهم له. هذا والمتبادر إلى الذهن أنّ اقتطاع التاء قد يدلّ على تصوير حالة الخضوع والانقياد بأتم تصوير إذ إنّ الشخص في حالة التواضع والانقياد يطأطأ رأسه ويخفضه كأنّه قد يسقط جزءاً من جسمه على الأرض فالأديب قد اقتطع التاء من الفعل ليتم تصوير هذا الانقياد عبر ائتلاف اللفظ والمعنى.

ولسنا نتمكن من القول بأن نستشف من هذه الظاهرة رأيا واحدا قاطعا بل جمال هذه الظاهرة في انتقاء المفردة لأسلوب النظم والوحدة في النظام اللغوي على حيز الصورة الفنية هي التي تعني ترابطا داخليا بين أجزاء النص. «ولكن ما قيمة اللفظ أو الصورة الأولى عند المتلقي لو لا عنايته بما يحتويه، فمن الطبيعي أن يقصد المعنى، مع كون اللفظ والمعنى وجهين لا انفصام بينهما، ومادامت اللغة رموز تجريدية، ومن الطبيعي أن يعنى باللفظ، لأنه جسر إلى المبتغى من فكر ومادامت اللقاءات بين الألفاظ والمعاني ثنائية، كل لفظ بمعنى خاص» (ياسوف، ٢٠٠٦: ٤٥). فجودة التعبير مناسبة للسياق العام للموقف فلنلاحظ وقفة عابرة في البيت المشهور:

وعلـــى إثـــرهم تســـاقطُ نفســـي حســـراتٍ وذكـــرُهم لي ســـقامُ

(البغدادي، ١٢٩٩: ٤٢٦/٢)

فَدليل حذف التاء من "تساقط" هو فقدانُ الأحبّة وفراقهم فالأديب يقصد التحسر والتحزن على فقدانهم وفراقهم ويظهر توجعه، فالقرينة العقلية هي الحزن والأسى وأيضا السياق الداخلي هو التحزن فهو ينادي نداء المتوجع وقد يدل إظهار التحسر على ما يستدعي الحذف لما يتضمن من أنّ فقدان الأحبّة هو المدلول عليه

بحذف التاء. فانزاح الأديبُ عن الأصل إلى اقتطاع التاء الدالة على الفقدان فضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب السآمة والتوجع والتحسر هو الذي يرغم الأديب إلى الحذف فالشاعر –إذاً– يصوّر لنا حالة مَن يستلقي جسمه إثر فقدان الأحبة وقد تسقط من جسمه شيءٌ على الأرض.

وعلى هذا يكون النص الناجح ما يري للمتلقي وجود العلاقات والتشابهات بين المعنى المرئي واللامرئي. فنقتصر هنا على الأثر للمعاني في سياق اختيار الألفاظ والاستيعاب الجمالي في عملية فهم المعنى. فلنقف وقفة يسيرة في هذا الظل الذي يشير إلى السياقة الانزياحية على سبيل الحقيقة وههنا نتخذ سمة ذهنية لدى ارتباط المفردة بالمعاني المنتقاة داخل البنية النصية فنموذج آخر في هذا المجال، قول الشاعر:

هــوى صــاحبي ريــح شمــال إذا جــرت وأســفى لقلــبي أن تهــبَّ جَنــوبُ

ومــا ذاك إلّا أنّهــا حــين تنتهــي تنــاهى، وفيهــا مِــن عُبيــدَةَ طيــبُ

(البستاني، ١٣٨٦: ١٩)

فالشاعر اقتطع التاء من فعل "تناهي" وأصله "تتناهي"؛ إن الشاعر كما يبدو أراد الحديث عن مقدار هذا الطيب الذي يأتي من جانب عبيدة فيبالغ في ذلك لدرجة أنّه ولو كان قليلاً معهودٌ بينه وبين عبيدة وهذا المعهود يتجلّى نبراساً يصل إلى المتكلم ويبلغ نهايته ويسكن والسر البلاغي لهذا الحذف هو أنّ هذه الريح لما تصل وتبلغ إلى منتهاها تستقرّ وتسكن والحقيقة أنّ المألوف في حالة السكون والطمأنينة في الإنسان، هو تخفيف حدّة الصراع النفسي فالحذف هنا يدل على تحقيق المعنى المراد وهو سكون الريح. فعبّر الشاعر عن حالة السكون مستخدماً ظاهرة الحذف ممّا يشعر المتلقي بأنّ كلّ متحرك مصيره إلى الانتهاء والسكون.

وفي مكان آخر نجد أن المفردة تنبئ عما يخالج الشاعر من الأحاسيس تجاه المعاني الذهنية التي تعجز اللغة المتعارف عليها عن التعبير عنها فلننظر:

كــــأنّ فــــؤادَه كــــرةٌ تنــــزّى حــــذار البــــينِ لــــو نفــــع الحــــذارُ

(البستاني، ١٣٨٦: ٢٢)

وأمّا الحذف في قوله «تنزّي» وأصله «تتنزّي» فإنّه يصور شدّة ما يعانيه المحبّ من لوعة الفراق والشوق وكأنّه لشدّة ما لاقاه، قد ضعف فؤاده حذار البين، فحذف التاء يكون تصرّفاً في الكلام وتفننا فيه وهو يدلّ على شدّة نار الجوى والوجد وعلى رقّة الحديث فالفؤاد كرة صغيرة تتوثب من جهة إلى أخرى وينبئ الحذف في هذا السياق بأنّ توثب الفؤاد سريع حيث لم يتمكن الشاعر من إتيان جزء من الكلمة. وقد تدل المخالفة في التعبير على تحقيق المعنى المراد الذي أشرنا إليه آنفا.

ومثله قول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري:

يـــا قلـــبِ لا أدعـــوك في أكرومـــةٍ إلّا تقـــــاعسُ دونهـــــا وتباطـــــا

(المعري، ٢٠٠٧: ١٢)

حُذِفت التاء من «تتقاعس» ليصور لنا شدة التواني المتبالغ كما أتى هذا الحذف للتصرف والتفنن في الكلام فالتواني عنده قد وصل إلى منتهاه حيث يعجز الشاعر عن إتمام الكلمة فالتواني قد أضعف قواه وذلّ نفسه فلا يستطيع تمام الكلمة وهذا النقصان النفسي قد أدّى إلى كتمانِ ما لا يريد إشاعته ولكن أنّى له ذلك.

النتيجة

فقد توصّل الباحثان خلال البحث في هذه المقالة إلى أنّ عملية الاقتطاع ترتبط بما لها من دور في التبيين والاهتمام بالحدث أي مجرد الحدث فإن كان قد حدث في فعلٍ ما، عملية اقتطاع التاء فإنّ الهدف الرئيس هو أنّ الحدث أقل مما لم يحذف فيه التاء وكذلك فإنّ هذا الأمر يتعلق بما في السياق ولكننا قد نستدرك أن القول بأنّ اقتطاع التاء قد يحدث في السياق الذي يدلّ الأمر إلى السقوط والنزول من الأعلى إلى الأدنى وغيره مما يشبه ذلك. فالحذف من هذا النوع ليس لمجرد التخفيف، بل إنه تصوير فنّي لبيان مقدار الحدث فإنّ الحدث لذلك الفعل هو الأسهل والأقل بالمقارنة مع ما لم يحذف فيه التاء. وانطلاقا من هذا فإنّ هذه العملية قد حدثت فيما يتعلّق بما يدلّ على السقوط معنويا كان أو ماديا ومن تجليات عنصر الخضوع هي التواضع، والانقياد أمام الأمراء والحكام، والحسرة عقب فراق الحبيب وغير ذلك...

وكذلك من تجليات هذه الظاهرة التي تحدث في لغة النص الأدبي هي أنّها قد تتجلى في الأفعال التي تدلّ على السقوط كذلك وذلك في المعنى المحوري لمفردات الأفعال ومن تلك الأفعال هي: تساقط، تنزّل وغيرها ممّا ورد في نص المقالة.

ومن منطلق آخر قد تبلور إسقاط التاء في عنصر الضعف وعدم القدرة، إذ إنّ الضعف هو نوع من السقوط فقد يلجأ الأديب في كثير من الأحايين إلى بيان ما يخالجه من الضعف والفتور النفسي أو الجسدي وذلك عن خلال عملية الحذف المتمثلة في اقتطاع التاء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن جني (لا تا). **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. ج٢.
٢. أبو تمام (٢٠٠٤م). **الديوان**. تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت: دار الكتب.
٣. برجشتراسر (١٩٩٤م). **التطور النحوي للّغة العربية**. ترجمة رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٤. بشار بن برد (٢٠٠٤م). **الديوان**. تحقيق محمد عبد الكاظم. المغرب: دار النهضة الديوانية.
٥. البغدادي (١٢٩٩م). **خزانة الأدب**. انتشارات بولاق.
٦. التبريزي، خطيب (١٩٩٤م). **شرح ديوان أبي تمام**. ج١-٢، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي.
٧. حمودة، طاهر سليمان (١٩٩٧م). **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**. الاسكندرية: الدار المصرية للنشر.
٨. الزوزني، الحسن بن أحمد (٢٠٠٦م). **شرح المعلقات السبع**. طهران: مؤسسة الصادق.
٩. السامرائي، فاضل (٢٠٠٦). **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**. القاهرة: شركة العاتك للصناعة والنشر.
١٠. سيبويه (٢٠١٤م). **الكتاب**. تحقيق محمد هاشم العبدي، بيروت: دار النهضة.
١١. طرابلسي، محمد الهادي (١٩٩٦م). **خصائص الأسلوب في الشوقيات**. المجلس الأعلى للثقافة.
١٢. عباس، أمير (٢٠١٣م). **الشكل الأدبي غايته ووسائله**. تونس: دار المكتبة.
١٣. عبدالتواب، رمضان، (لا تا). **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**. قاهرة: مكتبة الخانجي.
١٤. عتر، نورالدين (١٩٨٩م). **القرآن الكريم والدراسات الأدبية**. جامعة دمشق.
١٥. ـــــــــ (١٩٩٦م). **في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز**. ط١١. دمشق: مطبعة الصباح.
١٦. القارئ، عبدالعزيز عبدالفتاح (١٣٩٦هـ). **قواعد التجويد**. ط٣، المدينة المنورة: المكتبة العلمية.
١٧. المتنبي (٢٠١٤م). **الديوان**. ط٢، المغرب: دار النهضة المغربية.
١٨. المعري، أبوالعلاء (٢٠٠٧م). **لزوم ما لا يلزم**. ط٢، بيروت: دار النهضة.
١٩. ميرهوف، هانز (٢٠٠٧م). **الزمن في الأدب**. ترجمة أسعد رزوق. تونس: سجل العرب.
٢٠. النحوي، أبو البركات (لا تا). **الإنصاف في مسائل الخلاف**. ج٢. دمشق: دار الفكر.
٢١. ياسوف، أحمد (٢٠٠٦م). **دراسات فنية في القرآن الكريم**. دمشق: دار المكتبي.
٢٢. يونس علي، محمد محمد (٢٠٠٧م). **المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)**. ط٢، بيروت: دار المدار الإسلامي.

The Deletion of "T" from the Structure of Present Verb and Its Role in the Process of Text Comprehension

Jalal Marami[1]*, Seyed Hussein Husseini[2], Qasem Azizi Morad[3]

1. Associate Professor, Department of Arabic, Allameh Tabatabaei University, Tehran, Iran

2. Ph.D. Candidate in Arabic Language and Literature, Tarbiat Modarres University, Tehran, Iran

3. Ph.D. Candidate in Arabic Language and Literature, Allameh Tabatabaei University, Tehran, Iran

Abstract

The deletion of a category or an element from speech, when can either be cited or deleted, is based on the response to the needs and goals that a scholar feels; and his intention for this action is enhancement, completion, and conveying the meaning to the delighted recipient, effectively and appealingly. Therefore, the dropping of "T" or its deletion from the beginning of the present verb is not useless, and this action is for the case when its deletion helps achieving rhetoric purposes and makes the speech beautiful and attractive, and at the same time, if otherwise the scholar mention this letter, it seems useless. This literary and artistic move- whether the poet uses it intentionally or unintentionally- is a property of Arabic language, which helps the poet or the scholar in the creation of literary or artistic work. In this regard, we can study this subject based on the structure, form, as well as semantics and rhetoric. This study aims at investigating this subject in order to discover the mysteries and meanings that exist behind this phenomenon, and to this aim some literary texts is selected, hoping that it will achieve its results. In this dissertation, we concluded that the deletion of "T" from the structure of present verb plays an important role in the process of comprehension, which emphasize the order purpose which Abd al-Qahir al-Jurjani has worked on it in the "order theory".

Keywords

Present verb, "T" Verb, The meaning of text.

---

* **Corresponding Author, Email:** jalalmarami@yahoo.com